أثر نظريات التطور على علم الاجتماع

د. حافظ لصفر

الحلقة (١ / ٢)

لقد حدد القرآن الكريم بتناسق مع العلوم الحديثة منهج "السير في الارض"، وجعله شرطا أساسيا للبحث في الموضوع، وأكد عدم اتباع المضلين للوصول الى تفسير الحياة، قال الله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت: ٢٠)، وقال أيضا سبحانه: مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (الكهف: ٥١)، لقد شكّل السير في الأرض المنهج العلمي المتبع في العصر الحديث عند كبار المؤثرين فيه، وبحثهم الحثيث في الأماكن الدالة على آثار بداية الخلق ومنها:

المغارات المتشكلة بعد تفكك كربونات الكالسيوم، ومواقع المتحجرات التي تحتوي على حفريات لها قيمة ملحوظة للطبقات بيولوجية، والدالة على الأنظمة الإيكولوجية السابقة، ومواطن التمعدن التي تحتوي على العديد من أصناف المعادن، ومواطن الطبقات الستراتيغرافية كدراسة سلسلة الصخور والرواسب التي تمكن من إعادة تشكيل التاريخ الجيولوجي لأهمية تكوينها الطبقي والفينومينولوجي، وكذلك أماكن الجيومرفولوجية، والأماكن الناشئة عن آثار سقوط النيازك على الأرض، وبهذا سبق القرآن الكريم العلم الحديث في التأسيس للبحث العلمي، وتنظيمه وطرده للخرافة عنه، وحث على اتخاذ منهج السير في الأرض كمنهج علمي تتبعه العلوم الحديثة، لأنه يمكن من جمع المعلومات من مناطق متفرقة لتشكيل رؤية علمية دقيقة عن نشأة وبداية الخلق، وفعلا حيرت مسألة الخلق للكائنات الحية بما فيها الإنسان العقل البشري عبر تاريخ الفكر الإنساني، ونسجت حولها أساطير وقصص وطرحت افتراضات أخذتها البشرية ردحا من الزمن، ولازالت كتفسير ومحاولة لفهم للقضية، ومن أخطرها فرضيات التطور، وبينت الكتب السماوية أن المسألة بيد المبدع لهذا الكون الله جل جلاله، وأن القوانين الطبيعية والاجتماعية محكومة ومصممة بشكل قبلي من خالقها، وما طرحه التطوريون مجرد افتراض وفكرة وخدعة وإيديولوجية تقلب الواقع وتزيفه، لأن ترهات الأنواع الأكثر تركيبا نشأت من أنواع أبسط عبر الزمن، وبوساطة آليات الانتقاء الطبيعي، وأن بدايات الخلق الأولى حكمتها الصدفة، وأن الإنسان له قواسم مشتركة مع باقي الكائنات الأخرى، حيث أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالا لأدنى شك أنها مجرد خرافة وفرضية باطلة وخيالية

لا أساس لها من الواقعية في القوانين الطبيعية والاجتماعية، ومنهج السير في الأرض لمعرفة بداية الخلق، حث عليه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ونيف، فما على البشرية سوى اتباعه لتتبع هذه النشأة الخلقية من الخالق عز وجل جلاله، والتي توصلت إليها البحوث العلمية المعاصرة كالبيولوجيا الجزيئية والحسابات الرياضية، فكل شيء مخلوق بدقة وتصميم ذكي، ويعجز العقل البشري أن يفك جميع شفراته، لأنه علم الخبير العليم لقوله تعالى: **وَمَاأُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** (الإسراء: ٨٥)، وقوله تعالى: **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (القمر: ٤٩)، وقوله عز وجل جلاله: وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (الفرقان: ٢).

١- منطلقات فرضية التطور وجذورها وخلفياتها الفلسفية والاجتماعية والسياسية المؤسسة لها:

ليست فكرة التطور وليدة العصر الحديث، وإنما ترجع إلى الفكر الإغريقي مع فلاسفة ما قبل سقراط من خلال معالجتهم للظواهر الكسمولوجية بطريقة تأملية لمفهومي "الأصل والمبدأ"، وإرجاع أصله إلى عنصر أو عدة عناصر طبيعية، حيث تصور أنكسمندر (٦١١-٥٤٧ ق.م)، بما يزيد عن ألفي سنة على أساس أن العالم الحي بدأ من الماء، وأن أصل الإنسان كائنات كانت تعيش في قواقع مائية، فلما انحسر البحر، لجأت لليابسة، ومن تم تطورت، وارتقت غريزيا، وتكيفت مع العالم الخارجي، وهذا نجد له أثره في الأساطير السومرية القديمة، لأنهم كانوا يقدسون البحر بدعوى أنه مصدر للحياة، وأن الأسماك حملت بالإنسان حتى اشتدت قوته، ثم خرج لليابسة برمائيا، وتطور على هيأته الحالية، حيث قال: "أما الأحياء، فقد تولدت في الرطوبة بعد التبخر أي في طين البحر، وهو مزاج من التراب والماء والهواء، فكانت في الأصل سمكا مغطى بقشر شائك حتى إذا ما بلغ بعدها أشده نزح إلى اليبس، وعاش عليه، ونفض عنه القشر، والإنسان لم يوجد أول ما وجد على ما نراه اليوم طفلا عاجزا عن توفير أسباب معاشه، وإلا لكان انقرض، ولكنه منحدر هو أيضا من حيوانات مائية مختلفة عنه بالنوع، حملته في بطنها زمنا طويلا حتى أن نمت قواه، وتم تكوينه، فاستطاع أن يقف على اليابسة، وأن يحفظ حياته بنفسه"[1]، فالطرح التطوري قديم، وترجع منطلقاته الأولى إلى تأملات فلسفية وجودية حالمة أو تعود إلى الأساطير القديمة التي كانت تقدس ظواهر كونية، وتفسر بها الأشياء والأحداث وأصل الكون.(يوسف كرم ٢٠١٢ ص: ٢٨).

عملت فرضية التطوريين في مجال البيولوجيا مع داروين، وسلفه الفيلسوف أنكسمندر وغيره على إسقاط فكرة التطور العضوي وقابلية الأنواع للتحول إلى أشكال وأنواع جديدة على الحقل الاجتماعي، وأثبت العلم الحديث فداحتها وخطورتها في تغيير مسار علم الاجتماع والتاريخ الاجتماعي للحياة الاجتماعية للبشر، حيث بين آدم سيدوجويك أستاذ الجيولوجيا بكامبردج (أستاذ داروين)، إنها تهبط بالإنسان إلى حد إفساد وتسميم الينابيع الجيدة للأخلاق، مما دفع داروين إلى تأخير إصدار كتابه "أصل الأنواع" ، ونظرا للثورات التي عرفتها أوروبا على كافة الأصعدة الفلاحية والصناعية، وما صاحَبها من تحول في كل النظم والعلاقات، وللتغيرات الطارئة في الكتابات الأنثروبولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثرا بأفكار داروين البيولوجية، كالصراع والمنافسة والبقاء للأقوى والأصلح، كظواهر طبيعية أسقطها على الكائنات الحية، وتم تطبيقها على المجتمع البشري، وهذه هي حركة الداروينية الاجتماعية بشقيها "الرأسمالية والإشتراكية" وصولا إلى مفهوم العولمة (الدكتور صلاح عثمان، ٢٠٠١ ص: ١٣٧)، وبما أن فرضية التطور تقوم على البقاء للجنس الأقوى والأصلح، فموجهذها إيديولوجية وعنصرية، وتميز بين الأجناس والأعراق والسلالات البشرية، مما سوغ للمستعمر القيام بإبادات جماعية في حق من سموهم المتوحشين والبدائيين، كالهنود الحمر بأمريكا، "إن الله فضلهم واصطفاهم على العالمين وأعطاهم الأرض وحق تقرير الحياة والموت والرزق لكل من يعيش فوق هذه الأرض، هكذا حمل شعب الله سيف الجلاد المقدس "(منير العكش ٢٠٠٢ ص: ٥٧) ودونية العبيد الأفارقة، هذا التمييز جذوره لاهوتية مسيحية ويهودية" عقيدة شعب الله المختار والمفضل عند الصهاينة. فإيديولوجية الحمائية التي نهجتها السياسات الكولونيالية، خير دليل على ذلك باحتلالها لبلدان كثيرة من العالم بمبرر واهٍ، وهو حماية الشعوب من جهلها وتخلفها، وبالتالي فالطرح التطوري من خلال فرضية البقاء للأقوى يجد صداه في النهج الاستعماري لاستعباد الأضعف، وسرقة خيراته وثرواته، فهذه الفرضية إيديولوجية، ممهدة لقتل وإبادة واستغلال الشعوب الفقيرة التي ترى أنها لا تستحق العيش والبقاء، وهذا ما تبلور في قوانين بعض البلدان المستعمرة، ففي قانون تكساس ورد ما يلي : "إن جميع الرجال البيض في هذه الحكومة الحرة لهم حق التمتع بحقوق مدنية وسياسية متساوية، إن استعباد العرق الإفريقي، كما هو موجود في هذه الدول يعود بالنفع المتبادل على كل من السند والحر، وهو مرخص له مبرره بشكل كبير من خلال خبرة البشرية والإرادة الموحى بها للخالق القدير، كما تعترف بها جميع الأمم المسيحية"(قانون تكساس الصادر في ٠٢

فبراير ١٨٦١)، وتظهر إحصائيات أجريت بالولايات المتحدة الأمريكية أن العرق الأبيض لا يختلط مع الأسود الحر، وهذا التمييز رسخته إيديولوجية التطور، معتبرة أن الطبيعية انتقت الجنس الأوروبي والأمريكي كأعراق راقية "الجنس الأري، والسامي" والآخرين دونهم، وأطلقوا أوصافا عنصرية على غيرهم مثل: المتوحشين والبدائيين والهمجيين والبربريين...، فمن بين الرسائل التي تبرز العنصرية المبررة بانتقائية التطوريين ما قاله زعيم هنود (دواميش) سنة ١٨٥٣ . "زعيم واشنطن يقول لي في رسالته أنه يريد أن يشتري بلادنا ويقول لي إنه صديقي، وإنه يكن لي مودة عميقة"[1]، ومن هنا يتبين أن منطلقات الفرضية التطورية جذورها بعيدة تاريخيا (الأساطير السومرية والإغريقية القديمة) وفلسفيا في الفكر البشري (الفلاسفة الطبيعيين أمثال أنكسمندر)، حيث كان أغلب الفلاسفة القدماء ما قبل سقراط ماديين بشكل مدهش في تفسيراتهم للطبيعة وكانت الحياة بالنسبة لهم ظاهرة طبيعية... وفقا لأنكسماندر أن الحياة قد تولدت بداية بوساطة عمليات مادية من وحل البحار... وعلى الأغلب كان متأثرا في هذه الفكرة بقصائد هوميروس التي تعتبر الإنسان مزيجا من الماء والتراب بالإضافة الى الملاحظات التجريبية أن الجسم مكوّن من عناصر صلبة ووعناصر سائلة" (الدكتور ستيفن ماير، ٢٠١٢ ص: ٤٦–٤٧) لا أن من بلورها في مجال البيولوجيا هو داروين وتبعه أتباعه في مختلف الحقول المعرفية تمهيداً لطرح افتراضي منطلقه وغايته التحكم في خيرات الأرض والشعوب الضعيفة غير القادرة على التكيف مع العالم، ومن ثمة فلا تصلح للوجود به، ومن يستحق البقاء والهيمنة والاستيلاء على ثروات الأرض هو الجنس الأوروبي والأمريكي والروسي والصهيوني.

إذن نخلص إلى أن فرضية التطوريين غزت بإيديولوجيتها مسارات الفكر البشري، وغيرت مجراه الصحيح بأفكار خرافية وعنصرية استغلالية لاهوتية "المسيحية واليهودية" بادعاء خادع لا أساس له من الدقة العلمية، مفاده أن الطبيعة اختارت، وأحبت الجنس الراقي لقيادة العالم والهيمنة عليه، فلا قيمة للشعوب المستضعفة، فهي لا تصلح للبقاء، هذه الأفكار دفعت مالتوس إلى أن يطرح فكرة أن الغذاء لن يكفي الأعداد السكانية المتزايدة على الكوكب، ودعا إلى فكرة تحديد النسل وتحسينه ومنعه، معترضا على أن الخالق قادر على تدبير شؤون الكائنات الحية، بما فيها الإنسان على ظهر الكوكب، وما هذه الأفكار الاقتصادية إلا جزء بسيط كامتداد لما دعت إليه الداروينية بجميع أقطابها.

٢ – نظرية التطور علم أم خرافة أم إيديولوجية من منظور الاتجاهات العلمية والفكرية المعاصرة

اعتمدت فرضيات التطور عدة قواعد أساسية، وعلى رأسها التحول الفجائي بالصدفة والتطور التدريجي والتصاعدي للكائنات الحية من كائنات بدائية الى كائنات متطورة، وفيما يخص الإنسان قدمته على أساس أنه ينحدر من سلالات بشرية، والملفت للنظر هو أن تطور العلوم، لم يؤثر على أصحاب فرضيات التطور، ولايزالون يرددون نفس المبادئ بصفة عامة (الدكتور محمد بورباب، العدد السادس ص: ١٩).

تمت تسمية الانفجار الكمبري نسبة للظهور المفاجئ جيولوجيا للعديد من مخططات الجسم الميتازوان بين حوالي ٥٣٠ و ٥٢٠ مليون سنة أي ١.٧٪ فقط من مدة السجل الأحفوري للحيوانات، وظهرت جحور أحفورية أكبر وأكثر تفصيلا منذ ما يقرب من ٥٤٣ مليون سنة بداية العصر الكمبري، ثم زادت الأدلة على نشاط الميتازوان في كل من الأحافير الأثرية والجسمية خلال ١٣ مليون سنة مما أدى إلى الانفجار، قد تكون جميع الشعب الحية نشأت نهاية الانفجار الكمبري، فالاختلافات الجزئية تؤدي إلى إحداث أنواع سجل الشعبة التي كانت أقدم من أصول خطوط الجسم الجديدة، فإن توزيعا يشير إلى وجود نظام نمطي واسع ميتا زوان بين النطاق قبل العصر الكمبري، فمن المحتمل أن الكثير من إعادة صياغة الجينوم حدثت خلال العصر الكمبري المبكر. (Jw .D, valentine . DH and jablonski new : fossils , molécules and embryos » erwin).

مع الانفجار الكمبري ظهرت الكائنات الحية بشكل مفاجئ دون أدنى تطور وتغيير إنه ظهور مباشر مع بقاء ثلثي هذه المخلوقات الحية دون تغيير إلى يومنا هذا، كما أن أول كائن حيّ ظهر في الأرض حوالي ثلاث مليار سنة وخمسمائة سنة، وهي البكتيريا التي لم يطرأ عليها أدنى تغيير، وهذا ما أثبته الدكتور في علم البيولوجيا الجزيئية "ميكائيل دونتن" بأنها تحتوي على مضادات حيوية نستعملها في عصرنا الحالي منذ ظهورها (في الحفريات) لن تتبدل أو تتطور.

تدعي فرضية التطور أن كل الكائنات الحية انحدرت من سلف واحد مشترك عاش في الماضي البعيد، ومع مرور الزمن تتسبب التغيرات والنقلات التطورية في بروز أنواع جديدة، وهي فرضية خدعت العقل البشري، لأنها إيديولوجية وخرافة ضللته ردحا من الزمن، وجاءت مضادة للجبلّة الطبيعية الخلقية للمخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، إنه المهندس الصانع المبدع لهذه الأنواع كلها، وأنها مختلفة جينيا، وليس لها سلف مشترك في محاولة منها لزرع الشك في عقول وتابعي العقائد السماوية، وأكد

كلاوس دوز على فشل فرضية التطور في قوله: "إن النظرية الحالية عبارة عن مخطط للجهل، وهو لا يقدم أي تبصرات جديدة حول العمليات التطورية، ومن المرجح أن هذا الجهل سيمكث" (الدكتور جوناثان ويلز ٢٠١٤ ص: ٢٣)، فادعاء فرضية التطور اقتسام الأصل المشترك لجميع الكائنات الحية خرافة وتضليل إلحادي أرادت من ورائه أن تخدر العقل البشري الفطري الذي يؤمن بجبلته، أن للكون خالق غير متناهٍ، كما توصل إليه فلاسفة الإغريق القدامى (أرسطو: "إن العالم يتحكم فيه خالق أسماه المحرك الأول أو العلة الأولى")، وتتصور خرافة التطوريين مثلا: أن هناك قاسما مشتركا في الأجداد بين الفأر والإنسان مع كائن وحيد الخلية، يعيش في بركة المياه الراكدة، ولو استفسر تهم من أوجده؟ لأجابوا الصدفة الطبيعية (الدكتور طالب الجنابي ١٩٨٩ ص: ١٠٣) فالافتراض الذي طرحه التطوريون من أن التغذية والتكاثر "الانشطار" حدث قبل أن تصبح الخلية حية، طرح غير مقبول بالمطلق، لأن التغذية والتكاثر من خصائص الكائنات الحية، وأن حياة الخلية تسبق ذلك، وهما عمليتان دقيقتان تحتاجان إلى ذكاء، وبدوره يكون حيًا، ومن الذي هداها للغذاء؟ وما تقوم به الخلية بشكل خلقي بالتمييز بين الغذاء الضار والنافع، وفي تنفسها تأنف من الغازات الضارة، وتستنشق الأوكسجين النافع، إذن فالذي صممها وبرمجها بمعلومات قَبْلية، وقدرها بمقادير دقيقة جدا، هو الذي زودها فطريا بالقدرة التمييزية بين كل هذه الأمور التي خلقها عليها يعجز العقل البشري أن يصممها ويستوعبها، إنه الله الخالق المبدع هو الذي برمجها بهذه المعطيات لتميز بين ما يصلح لها وما لا يصلح، كما أن عالم المستحاثات لويس أكسيس "زامن فترة داروين"، حيث اعتبر أن السجل الأحفوري، وبالأخص سجل العصر الكمبيري الذي يشكل عقبة لا يمكن لفرضية داروين تجاوزها... وشكل الدليل الأحفوري من العصر الكمبيري تحديا كبيرا لمزاعم داروين عن قدرة الاصطفاء الطبيعي على إنتاج أشكال جديدة من الحياة اعتمادا على الشبكات العشوائية وتوراتيتها والصراع على البقاء. (الدكتور ستيفن ماير، ٢٠١٢ ص: ٣٥-٣٩)[1].

إن الخلية الأولى لم تكن مجرد خلية بسيطة أو بدائية، وتحركت، فأصبحت حية، كما تزعم التطورية، بل إنها احتوت على معلومات كثيرة وفي منتهى التعقيد، وهذه حقيقة غفل عنها داروين، ويغفل عنها التطوريون (الدكتور طالب الجنابي ١٩٨٩ ص: ١١١)، جميع الكائنات الحية مبرمجة بمعلومات دقيقة في بنيتها الخلوية، وهذا الصنع ليس من فعل الصدفة الطبيعية كما تدعي التطورية، فقيمة الكائنات

الحية لا تكمن فقط في تركيبتها الداخلية المجبولة عليها من خالقها، بل البحث عن مغزاها ومعناها الحقيقي الذي يوجد خارج هذه التركيبة، بل تمتد إلى خالقها، وهذا ما نلمسه من قولة فيتجنشتاين: "معنى العالم لابد أن يقع خارج العالم"، وأكد مايكل بيهي ثبوت عجز النظرية الداروينية عن تفسير الأسس الجزيئية للحياة، لا مقابل التحليل المقدم في هذا الكتاب فحسب، بل بسبب الغياب التام، لأي نموذج مفصل يمكن من خلاله تفسير نشوء البيو–كيميائية الحديثة في الأدبيات العلمية المختصة، "الآن جاء دور العلم الأساسي للحياة –الكيمياء الحيوية المعاصرة–ليزعج الداروينية " (الدكتورمايكل بيهي، ١٩٩٦ ص: ١٩٢)، هذه البرمجة الربانية للكائنات الحية بالتمييز الطبيعي بين الضار والنافع، حاملة لمعلومات مصممة من قبل مصمم ذكي للغاية وخارقة، وليست محض صدفة، وهذا ما أكده بيهي في قوله: "نستنبط وجود التصميم كلما كانت الأجزاء تبدو مرتبة لإنجاز وظيفة"، وما خلص إليه بيهي وميلر وجوناثان ويلز وغيرهم كثير؛ أن التنسيق والترتيب للأعضاء البشرية وراءها مصمم خارق وصانع ذكي، هو الخالق الصانع لكل شيء، فأحسن الصنع، ومنها الإنسان المتقن في صناعته، ليؤدي الخلافة والعمارة والعبادة على الأرض مصداقا لقوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (الذاريات: ٥٦)، وبذلك فالكائنات الحية لم تتطور من حالة إلى أخرى وبالصدفة، كما افترضت الداروينية، وخير دليل على فشل طرحها الخرافي زهرة مدغشقر الطويلة الأنبوب، والحشرة التي تتغذى على رحيقها، لها أيضا أنبوب طويل يصل إلى قعر أنبوب الزهرة، فبعد إجراء الدكتور ليس وفريقه تشفير الحمض النووي الشريطي، وجد أن الزهرة تتغذى عليها حشرة ذات خرطوم طويل بمقاس الزهرة، وأنها تختلف عن أبناء عمومتها بمدغشقر، ويصل طول خرطومها ١١.٢ بوصة، فلا يمكن إيجاد الزهرة بأنبوبها الطويل والحشرة بأنبوبها الطويل للتغذي عليها بنفس المقاس والحساب والتقدير الذكي بالصدفة أو افتراض التطور التدريجي (صحيفة ديلي ميل البريطانية، ونشرت الدراسة بمجلة أنتنور الفرنسية)، فهذه الدقة العالية في التقدير والحساب لا تصدر إلا من خبير عليم لقوله تعالى: **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (القمر: ٤٩)، ولقوله عز وجل جلاله: **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** (الأحزاب: ٣٨).

٣- فشل نظريات التطور أمام إثباتات العلم الحديث

أثبت العلم التجريبي الحديث ووثق قواسم مشتركة لا غبار عليها، كما أنه توجد بين المجموعات البشرية والأعراق اختلافات طبيعية في مجموعة الجينات البشرية، وتفسر اختلافاتنا من الناحية البيولوجية عن باقي الكائنات الحية الأخرى، وفيما بين إنسان وآخر من نوعه، فلكل واحد تركيبته الجينية وبصمته وهويته الوراثية "علم البيولوجيا الجزيئية"، فثمانية مليارات من الأفراد في العالم، كل واحد يحمل جيناته وهويته المتفردة التي لا تشبه الآخرين، إلا أن الفرضيات التطورية المبنية على الانتقاء الطبيعي والحفاظ على السلالات المفضلة في البقاء، معتبرة بذلك أن هناك أجناس تفوق أجناسا وصفتها بالمتخلفة مبررة للقوى المسيطرة على العالم سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية أحقية استعباد الشعوب الأضعف، وهذا التبرير للعنصرية تتبناه الفلسفة التطورية، بدعوى أنها شعوب لم تنتقها الطبيعة، وغير قادرة على التكيف مع البيئة لحماية نفسه، إلا أنه مع ذلك، فالإنسان يبقى هو الإنسان منذ الأزل، فلم يتحول في يوم إلى فيل أو كائن آخر، بين مايكل دونتن من منطلق البيولوجيا الجزيئية بتحليله للتباين في تسلسل الأحماض الأمينية للبروتينات مثل: لتوفير شجرة النشوء والتطور التي تتطابق مع السيتوكورم س، كأدلة تطبيقية، أجرى مقارنة لتسلسل الأحماض الأمينية للسيتوكورم س من كائن حي لآخر يمكن أن تكون التغيرات موحدة بنسب هامة، فتسلسل الأحماض الأمينية للسيتوكورم س للضفدع والسلحفاة والدجاج والأرانب والحصان ثابتة جدا من البكتريا و ١٣٪ إلى ١٤٪ من السيتوكورم س بالمثل، هذه البيانات هدمت فكرة أن الأسماك كانت أجداداً للضفادع التي كانت أسلافا للزواحف، والتي كانت بدورها أسلافا للطيور والثدييات، ويؤكد أن فكرة التطور لم تتمكن من إيجاد تفسير يستند على أساس علمي عن كيفية بداية الحياة على الأرض والآليات التي افترضتها النظرية ليست مولدة لأي تطور، والحفريات أثبتت عكس ما قالت به، فليست صدفة، كما أن الخلية ليست بسيطة كما ادعت التطورية، بل خلقت ببرمجة معقدة، ولا صلة لها بالصدفة، (ويكيبديا: "التطور: نظرية في أزمة" كتاب من تأليف مايكل دونتن)، وهذا يعني ليس هناك تفاعل متبادل بين الصدفة التي تعني العدم في تصورنا والانتخاب الطبيعي، فكيف للطبيعة الصماء أن تخلق كائنات معقدة في صنعها وتركيبتها، ولا تشابه في هويتها الوراثية، ويقول مايكل دونتن مثبتا فساد فرضيات التطور، "ظهرت أوائل الكائنات الممثلة لتلك المجموعات لأول مرة منعزلة، وعلى درجة عالية من التباين لحد لا تسمح باعتبارها أشكالا وسيطة لمجموعات أخرى بأي حال من الأحوال، ويتكرر الوضع مع الأسماك الغضروفية والقروش وأسماك الشفتين

التي ظهرت لأول مرة تقريبا قبل خمسين مليون عام بعد ظهور معظم المجموعات السمكية الأخرى، وفي بداية ظهورها كانت على قدر عال من التخصص والتمايز والانعزال عن أنواع السمك، خرافة التطور أن كومة من خردة الحديد أخذتها عاصفة هوجاء، ثم تناثرت هذه الخردة، فكونت طائرة بوينغ ٧٤٧ مصادفة[1]، عجز العقل التجريبي عن تركيب خلية حية في المختبرات العالمية، فالكائنات الحية لها خالق واحد أوجدها وأبدع تصميمها لقوله تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (التين: ٤)، وقوله جل علاه: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** (الذاريات: ٧)، فالطبيعة لا تملك قدرة للصنع، فبالصدفة في اعتقاد التطوريين بإمكان كومة من المواد غير الحية أن تغير الخلية الحية إلى سمكة، وتخرج السمكة إلى اليابسة، وتتحول إلى نوع من الزواحف، ثم إلى طائر، ثم يتكون منها الإنسان، وهذا ما لا تقدر أن تقوم به الطبيعة الجامدة الصماء، فهل يمكن لعاقل أن يصدق افتراءات لا أساس لها من العلمية؟ بإمكان حمار وحشي أو نملة أو سمكة أن تتكيف مع وسطها البيئي، لكن يستحيل في يوم من الأيام أن تتحول إلى فيل أو كائن آخر، وهذا ما تبين من خلال أصل الشعب الحيوانية من خلال إثباتات البيولوجيا الجزيئية، فالانفجار الكمبيري في التطور الحيواني الذي ظهرت خلاله جميع مخططات الجسم المتنوعة في لحظة جيولوجية تقريبا هو لغز مشهور للغاية على الرغم من أنه تم استدعاء تحليل الساعة الجزيئية لاقتراح أن الانفجار الكمبيري هو قطعة أثرية من السجل الأحفوري، في حين أن الاختلاف الفعلي حدث قبل ذلك بكثير (Richard A. keer, 2002,1547).

في نمط مألوف بالفعل، تظل العلاقة بين الشعب الحيوانية مثيرة للجدل ومراوغة، مؤخرا يؤدي تآكل إشارة النشوء والتطور حتما إلى ضعف دقة أشجار النشوء والتطور، مما يؤكد على إحداث الاختلاف القديمة[2]، حيث تظهر الأنواع الرئيسة فجأة، ولا يمكن تحديد الدرجات الرئيسة للمرحلة ما قبل الخلوية من التطور والخلايا بدائية النواة أو بين الخلايا بدائية النواة، وخلايا حقيقية النواة، أي ظهور مستوى جديد من التعقيد، وهي حاسمة في تطور الحياة، وتستعصي على التمثيل من خلايا طوبولوجيا شجرة فريدة، ويصعب إعادة بنائها مهما كانت الأشجار التي تم إنشاؤها لهذه المراحل من تاريخ الحياة، فإن لها فروعا داخلية قصيرة للغاية، وغالبا ما تكون غير موثوقة، وتميل طوبولوجيا الشجرة إلى الاختلافات في الجينات

المختلفة مثل: أصل طيات البروتين، يبدو أن هناك حوالي ١٠٠٠ طية هيكلية أو وفقا لتقديرات أخرى بضعة آلاف من الطيات الهيكلية المتميزة التي تكون العلاقات (إن وجدت)غير واضحة مثال: أصل الفيروسات بالنسبة للعديد من الفئات الرئيسة من الفيروسات، ولاسيما فيروسات الحمض النووي الكبيرة السيتوبلازمية لحقيقيات النوى تم الحصول على دليل جوهري على أصل أحادي النمط، ومع ذلك لا يوجد دليل على وجود سلف مشترك لجميع الفيروسات، أما من حيث أصل الخلايا لم يتم البحث فيها في عهد داروين (لم يكتشف علم الوراثة أنذاك بعد)، فهناك نوعان :(المجالات بدائية النواة في الحياة) العتائق والبكتريا لهما أغشية مميزة كيميائيا إلى حد كبير وأنزيمات غير متماثلة للتكوين الحيوي للأغشية، وأيضا أنزيمات تكرار الحمض النووي غير المتجانسة الأساسية يؤدي هذا إلى تعقيد شديد في إعادة بناء سلف خلوي للعتائق والبكتريا، ويقترح حلولا بديلة، أما أصل هذه الشعب "البكتيريا والعتائق" يظهر أن درجة أكبر بكثير من التماسك الجزيئي داخل المجال، مما يظهر بين المجالات (الأغشية وآليات النسخ المتماثل المتجانسة في جميع أنحاء كل مجال)، وطوبولوجيا الفروع العميقة في الأثرية، ولاتزال أشجار النشوء والتطور البكتيرية بعيدة المنال، لأنها تفتقر إلى المتانة فيما يتعلق بالجينات التي تم تحليلها والأساليب المستخدمة، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة لتحديد أصناف أعلى من البكتيريا، فإن الإجماع لا يلوح في الأفق، وتظل الانقسامات الإضافية للفرعين في المجال البدائي غامضة، ومن داخل نظرية التطور اعترف عالم الأحياء الانجليزي كولين باترسون قائلا: "ليس هناك كائن استطاع أن يولد نوعا جديدا من الأنواع الأخرى بوساطة الحركة الآلية للطبيعة، أي عن طريق النشوء والارتقاء من حيوان إلى آخر، وليس هناك أي كائن اقترب من هذا الاحتمال، واليوم هناك جبل كبير في أوساط التطوريين حول هذا الموضوع (ويكيبيديا) فمع إثباتات علم الأحياء الجزيئي، لم يبقَ أدنى شك من الانطباعات التخيلية للتطورية التي تعود في أصولها الأولى لأساطير هوميروس والحضارة السومرية القديمة، ويقول إيجور "الجزيئات الحيوية المعقدة مثل: الانزيمات معقدة جدا وظيفيا، بحيث يصعب رؤية كيف تنشأ عن طريق الطفرات العشوائية "، (الدكتور هيثم طلعت، ص: ٤٥)، فحتى داروين نفسه كان يؤمن أن الحياة قد نفخ فيها بإعجاز من قبل الخالق، وهي كلمة شهيرة له في آخر كتابه "أصل الأنواع" في طبعته الأولى[1].